

الرافضة وأساليبهم في الخداع

أعني بالرافضة طائفة الإثنى عشرية، التي تلقب نفسها بـ: الجعفرية، والمؤمنين، والخاصة، والإمامية[1]، وهي اليوم أعظم الطوائف المنتسبة إلى التشيع مكراً، وأكثرها جمعاً، وأخطرها مسلكاً، وتعد الطائفة الكبرى في عصرنا، وإذا أطلق لقب الشيعة اليوم لا ينصرف إلا إليها في نظر جمع من الباحثين، وما سواها زيدية أو إسماعيلية، وهي تستوطن مناطق شتى، منها: إيران، والعراق، والخليج، والهند، وغيرها. وهم يعترفون بأنهم المعنيون بلقب الرافضة، وحاولوا تزيين هذا اللقب لأتباعهم، فقد أورد شيخهم المجلسي في كتابه «البحار» (أحد مراجعهم في الحديث) أربعة أحاديث في مدح التسمية بالرافضة في باب سماه: «باب فضل الرافضة ومدح التسمية بها»، ومن أمثلة ما ذكره في هذا الباب قوله: عن أبي بصير قال: قلت لأبي جعفر - عليه السلام -: «جعلتُ فداك، اسمٌ سمِّينا به استحلت به الولاة دماءنا وأموالنا وعذابنا، قال: وما هو؟ قلت: الرافضة، فقال جعفر: إن سبعين رجلاً من عسكر موسى - عليهم السلام - فلم يكن في قوم موسى أشد اجتهاداً وأشد حباً لهارون منهم، فسماهم قوم موسى الرافضة، فأوحى الله إلى موسى أن أثبت لهم هذا الاسم في التوراة فإني نحلتهم، وذلك اسم قد نحلكموه الله»[2]، ففي هذا

(١) انظر ألقابهم في: أصول مذهب الشيعة: ١/ ٩٩ وما بعدها.

(٢) البحار: ٦٨/ ٩٦-٩٧، وانظر أيضاً: تفسير فرات: ص١٣٩، البرقي/ المحاسن: ص١٥٧، الأعلمي/ دائرة المعارف: ١٨/ ٢٠٠.

حقيقة التقية:

قال شيخهم المعاصر محمد جواد مغنية رئيس المحكمة الجعفرية ببيروت: «التقية أن تقول أو تفعل غير ما تعتقد»[2]، فهو يتظاهر أمامك بقول أو فعل يخفي به عقيدته، ويتقنع بقناع يستر به نحلته، حتى لا تقف على حقيقة مذهبه، ولا تدرك خفايا معتقده، ويرى أن فعله هذا عبادة من العبادات لا يتأثم من فعلها ولا يستحيي من تمثيلها، بل هي في نظره تسعة أعشار الدين، بل هي الإيمان كله ولا إيمان لمن لم يفعل ذلك ولا دين له، بل هو إن لم يفعلها من الخارجين عن دينهم المفارقين لجماعتهم.

ولعل هذا اللون من الاعتقاد عند هذه الطائفة لا مثيل له بين المذاهب والمعتقدات في تاريخ البشرية؛ إذ إن المعروف أن الكذب وتظاهر المرء بخلاف حقيقته سبة وعار، وجبن وخور، ونفاق وكذب صراح، وغاية الأمر أنه يسوغ في حالة الخوف والإكراه من باب الاضطرار، أما أن يكون عادة جارية وخلقاً ثابتاً، بل عملاً شريفاً وديناً مفروضاً في حال الاختيار، فلا وجود لهذا المفهوم إلا في دين الرافضة ومعتقداتهم.

ومن أراد أن يعرف تقيتهم فليستمع إلى ما يقولون، ولير ما يصنعون، وليأخذ الحقيقة من أفواههم ليراها جلية واضحة منقولة من المعتمد من مصادرهم، فقد أجرى الله على ألسنتهم ما يكشف سترهم، ويهتك أستارهم، ويفضح أمرهم؛ لأنهم - كما يعترفون - مبتلون بـ«النَّزَق[3] وقلة الكتمان»[4]، فقد قالوا في شأن تقيتهم وبيان منزلتها ومكانتها في اعتقادهم، وذلك في كتابهم المعتمد لديهم الذي يسمونه «دين الإمامية»: «والتقية واجبة لا يجوز رفعها إلى أن يخرج القائم، فمن تركها قبل خروجه فقد خرج عن دين الله وعن دين الإمامية وخالف الله ورسوله والأئمة»[5]، فترى أنهم يفرضون على أتباعهم استخدام التقية في تعاملهم ويحكمون على من تركها بالكفر والخروج عن دينهم، ولا يجعلون لاستمرار العمل بالتقية نهاية إلا إذا رجع مهديهم - الملقب عندهم

(٢) «الشيعة في الميزان» ص٤٨.
(٣) نزق نزقاً من باب تعب: خف وطاش (المصباح المنير: ص٧٣٤).
(٤) أصول الكافي: ٢/ ٢٢١-٢٢٢.
(٥) الاعتقادات ص١١٤-١١٥.

■ أ. د. ناصر القفاري
n0380@hotmail.com
@prof_algefari

النص يقررون - وإن لم يكن له أصل تاريخي - أن اسم الرافضة كان من ألقاب اليهود ثم انتقل إليهم.

وقد ثبت أن هؤلاء المعاصرين، وبالتحديد من يتلقى دينه عما يسمونه صحاح الإمامية الثمانية، ليسوا رافضة فحسب بل هم من غلاة الرافضة لا في مقاييس أهل السنة فقط، بل في مقاييس الرافضة أنفسهم[1]. والمراجع لهذه المصادر يجد أنها دأبت على توجيه أتباعها إلى معاملة المخالفين لهم على أساس الخداع والمكر والنفاق.. ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩].

(١) انظر: «شيعة اليوم ليسوا بشيعة» دراسة منشورة بمجلة البيان (عدد ٣٣٩).

بالقائم – من غيبته، ومهديهم لا وجود له إلا في خيالاتهم، فإذن تقيتهم لا تنتهي ما دام لهم وجود على هذه الأرض.

والدعوة في نصوصهم إلى العمل بالتقية تأخذ ألواناً من الترغيب، وأشكالاً من الترهيب، فمرة يصفونها بأنها أعظم فرائض الدين، فيقولون: «أعظم فرائض الله عليكم – بعد فرض موالاتنا ومعاداة أعدائنا – استعمال التقية»[1]، وترك التقية عندهم كترك الصلاة: «تارك التقية كتارك الصلاة»[2]، وحيناً يصفونها بالذنب الذي لا يغفر: «يغفر الله للمؤمن كل ذنب، يظهر منه في الدنيا والآخرة، ما خلا ذنبين: ترك التقية، وتضييع حقوق الإخوان»[3]، ومرة ثالثة يحكمون على من تركها ولم يجعلها عادة له بأنه ليس منهم، فيقولون: «ليس منا من لم يلزم التقية، ويصوننا عن سفلة الرعية»[4]، ويقولون: «عليكم بالتقية؛ فإنه ليس منا من لم يجعل شعاره ودثاره مع من يأمنه لتكون سجيته مع من يحذره»[5]. وحيناً يحكمون على تاركها بأنه لا دين له ولا إيمان: «لا دين لمن لا تقية له»[6]، «لا إيمان لمن لا تقية له، إن أكرمكم عند الله عز وجل أعملكم بالتقية قبل خروج قائمنا، من تركها قبل خروج قائمنا فليس منا»[7].

وفي مجال الترغيب تتنوع الإغراءات، وتتعدد الوعود، فهي مرة أفضل عبادة لله: «ما عبد الله بشيء أحب إليه من الخب» (يعني التقية)[8]. وهي طريقة المرسلين أجمعين: «عليك بالتقية؛ فإنها سنة إبراهيم... وموسى وهارون»[9].

وهي أحب شيء إلى أهل بيت رسول الله ولزومها سبب العزة والإعراض عنها سبب الهوان، عن حبيب بن بشر قال: «قال لي أبو عبد الله: سمعت أبي يقول: لا والله ما على وجه الأرض أحب إليَّ من التقية، يا حبيب إنه من كانت له تقية رفعه الله، يا حبيب من لم تكن له تقية وضعه الله»[10]، «وتسعة أعشار الدين في التقية»[11]، و«لا خير فيمن لا تقية له»[12]، «ما من شيء أقر لعين أبيك من التقية»[13].

وإنما فضل الأنبياء – بحسب زعمهم – بالتقية: «إن الأنبياء إنما فضلهم الله على خلقه بشدة مداراتهم لأعداء الله وحسن تقيتهم»[14].

والرافضي مدعو في ظل أحكام التقية الدائمة إلى مشاركة عموم المسلمين في صيامهم وصلاتهم وأعمالهم، مع البراءة منهم ومن أعمالهم في الباطن، قالوا: «وأما الرخصة التي صاحبها فيها بالخيار فإن الله نهى المؤمن أن يتخذ الكافر ولياً، ثم مَنَّ عليه بإطلاق الرخصة له عند التقية في الظاهر أن يصوم بصيامه ويفطر بإفطاره ويصلي بصلاته ويعمل بعمله، ويظهر له استعمال ذلك موسعاً عليه فيه، وعليه أن يدين الله تعالى في الباطن بخلاف ما يظهر لمن يخافه من المخالفين المستولين على الأمة، فالله تعالى قال: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [**آل عمران**:٢٨] فهذه رخصة تفضل الله بها على عباده المؤمنين رحمة لهم ليستعملوها عند التقية في الظاهر»[15]. فهو مدعو لأن يصلي بصلاتهم والاقتداء بهم «من صلى خلف المنافقين [يعنون المسلمين] تقية كمن صلى خلف الأئمة»[16]، لاحظ أنهم يعنون بالكافر هنا المسلم، ولذلك قال: «أن يصوم بصيامه ويفطر بإفطاره ويصلي بصلاته ويعمل بعمله»، ولا يصلي إلا المسلم، كما يعنون بالمؤمن من يدين بدينهم؛ لأن مصطلح المؤمن في مفهومهم لا ينصرف إلا إليهم، كحال اليهود الذين قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [**المائدة**:١٨].

وقد صورت بعض نصوصهم حقيقة مخالفة المسلمين، داعية كل أتباعهم للالتزام بها، بقولهم: «خالطوا الناس بألسنتكم وأجسادكم، وزايلوهم بقلوبكم وأعمالكم»[17]. ويقولون: «خالطوهم بالبرانية[18]، وخالفوهم بالجوانية[19]،

(١) بحار الأنوار ٥٧/ ٤٩، تفسير الحسن العسكري ٢٣٨.
(٢) جامع الأخبار ص١١٠، بحار الأنوار ٧٢/ ٤١٢.
(٣) تفسير الحسن العسكري ص١٣٠، وسائل الشيعة ١١/ ٤٧٤، بحار الأنوار ٧٢/ ٤١٥.
(٤) أمالي الطوسي ١/ ٢٨٧، بحار الأنوار ٧٢/ ٣٩٥.
(٥) أمالي الطوسي ١/ ٢٨٧، بحار الأنوار ٧٢/ ٣٩٥.
(٦) الخصال ١/ ١٤، بحار الأنوار ٧٢/ ٣٩٤.
(٧) كمال الدين لابن بابويه ٢/ ٤٢، بحار الأنوار ٧٢/ ٣٩٦.
(٨) معاني الأخبار ١٦٢، بحار الأنوار ٧٢/ ٣٩٦.
(٩) انظر: معاني الأخبار ٣٨٦، بحار الأنوار ٧٢/ ٣٩٦.
(١٠) المحاسن ٢٥٦، بحار الأنوار ٧٢/ ٣٩٨.
(١١) المحاسن ٢٥٩، بحار الأنوار ٧٢/ ٤٠٧.
(١٢) علل الشرائع ١/ ٤٨، بحار الأنوار ٧٢/ ٣٩٩.
(١٣) المحاسن ٢٥٧، بحار الأنوار ٧٢/ ٣٩٨.
(١٤) بحار الأنوار ٧٢/ ٤٠١.
(١٥) بحار الأنوار ٧٢/ ٣٩٠-٣٩١.
(١٦) بحار الأنوار ٧٢/ ٤١٢.
(١٧) مجالس المفيد ٨٥، بحار الأنوار ٧٢/ ٤١٠.
(١٨) البرانية: العلانية (هامش الكافي ٢/ ٢٢٠).
(١٩) الجوانية: السر والباطن (المصدر السابق).

إذا كانت الإمرة صبيانية[1]»[2]. فهم يعيشــون وسط المجتمع المسلم وفي ظل الحكومة الإسلامية ظواهرهم مع المسلمين، وقلوبهــم وبواطنهم وعواطفهم وتآمرهم مــع أعدائهم، فهم عين وعون ورِدْءٌ لأعداء المسلمين على المسلمين.

وربما باحوا بمرادهم بالرمز والإشارة أو باللغة والعبارة الباطنيــة، ولكــن لأتباعهم ولمن يفهم خطابهم من شــيعتهم، ونصوصهم في هذا الباب كثيرة وأقوال شيوخهم مستفيضة، حيــث تجد في كتبهم المعتمدة أبواباً لهذه العقيدة لا تجدها في كتب المسلمين؛ ففي الكافي أهم مصدر لهم في الحديث والروايــة باب بعنوان: «باب التقية» وفيــه ٢٣ حديثاً لهم[3]، وبــاب ثان بعنوان «بــاب الكتمان» ذكر فيــه ١٦ حديثاً تأمر بكتمان الاعتقاد والمفاصلة الشــعورية والعقدية للمســلمين، وبــاب ثالث بعنوان «باب الإذاعــة» يتضمن ١٢ حديثاً تحذر من إذاعــة أمرهم، وتأمر بكتمان دينهم، وتوجه أتباعهم إلى التعامل مع مخالفيهم وفق أحكام التقية.

وتســير علــى طريقــة «الكافي» كتــب الروايــة الأخرى المعتمــدة عند هــذه الطائفة، ففي البحــار - الذي قال عنه بعــض شــيوخهم المعاصرين: إنــه المرجع الوحيــد لتحقيق معارف المذهب - باب عنوانه «باب التقية والمداراة» ذكر فيه مائة وتسعة أحاديث تقرر هذا المذهب الخطير، بل وتفرضه وتوجه الأتباع إلى أساليب استعماله.

والملاحــظ أن كتمانهــم وتقيتهم تجري فــي الغالب مع المســلمين، وربما ترتفع مــع الزنادقة الملحديــن، وإذا قرأت ذلك الحوار الذي ســجله أحد شــيوخهم وادعى وقوعه بين أحــد الزنادقة وأمير المؤمنين علي رضــي الله عنه - وأمير المؤمنــين علــي بريء من هــذا الافتراء - أدركــت أنهم ربما لا ينطلقــون على ســجيتهم ولا يصرحــون بالحقيقة إلا في جــو الإلحاد وكهوف الزنادقة[4]، ومــن قبل قال أحد الدعاة الإســماعيليين: «لا تتكلم في بيت فيه سراج» يعني فقيهاً أو طالب علم[5].

وقرر شيخهم المفيد أن عصر الخلافة الراشدة هو عهد تقية، وأن حال الشيعة فيه كحال الرسول مع أهل الجاهلية[6]، فكيف يكون حالهم مع من جاء بعدهم من حكام المســلمين؟! بل نصوصهم التي تأمر بالتقية وتلزم بالكتمان ينســبونها - زوراً وافتراءً - لبعض أئمة أهل البيت الذين كانوا يعيشــون فــي زمن القرون المفضلة وفي ظل الخلافة الإســلامية، أي أن القــرون المفضلة عندهم هي فترة تقية، وتؤكد طائفة من وصاياهــم وتقريرات شــيوخهم أن تعامل عموم الشــيعة مع الصفــوة المختارة من المســلمين وهم أهل الســنة والجماعة يجب أن يتم وفق أصول التقية وأساليبها الخادعة. فقد جاء فــي أجمع كتاب لهم في الأحكام وأحــد مصادرهم الثمانية المعتمدة في الرواية وهو وســائل الشــيعة بــاب بعنوان «باب وجوب عشرة العامة [أهل السنة] بالتقية»[7].

وكلمــا كان الرجــل عندهم أقدر على الخــداع والكذب وأبرع في التقية والمخادعة كلما ارتفع قدره لديهم[8]، ولذلك يشــيد بعض شــيوخهم المعاصرين بطريقة الحسين بن روح (المتوفى ســنة ٣٢٦هــ، وهو أحد زعمائهم الســريين وأحد الأبــواب الأربعة) فــي طريقــة تعامله مع أهل الســنة وفق طقــوس التقية فيقــول: «كان من مســلكه الالتــزام بالتقية المضاعفــة بنحو ملفت للنظــر بإظهار الاعتقاد بمذهب أهل السنة»[9].

نماذج من أساليب التقية:

إليــك نموذجاً من طريقته لتدرك إلى أي مدى يمكن أن يذهب الشيعي في عمله بالتقية، وكيف يخادعون أهل السنة ويقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، ويتندرون فيما بينهم بغفلة كثير من أهل الســنة عن حقيقــة مكرهم، وتصديقهم لنفاقهم وانخداعهم بكذبهم وتقيتهم.

جــاء في الغيبة للطوســي - وهــو شــيخ الطائفة على الإطــلاق، وصاحب كتابين مــن كتبهم الأربعــة المعتمدة في الروايــة، وصاحــب كتابين مــن كتبهم الأربعــة المعتمدة في الرجــال -: «عن عبــد الله بن غالب قال: مــا رأيت من هو أعقل من الشيخ القاسم الحسين بن روح[10]، ولعهدي به يوماً

(١) معنى قولهم: «إذا كانت الإمرة صبيانية»: أنه إذا كان الحكم بيد غيرهم والإمارة ليست لشيعتهم، فيكتفون ببراءة القلب والتظاهر (بأقوالهم وأفعالهم) أمام الآخرين بخلاف ما يعتقدون.

(٢) أصول الكافي ٢/ ٢٢٠.

(٣) انظر: الكافي ٢/ ٢١٧- ٢٢١.

(٤) انظر: نص الحوار المزعوم في الاحتجاج لشيخهم الطبرسي ٢٤٩-٢٥٤، وينظر: فقرات منه مع التعليق عليه في: أصول مذهب الشيعة ١/ ٢٥٠ وما بعدها.

(٥) ينظر: مراتب الدعوة عند الإسماعيلية في كتب الفرق (الفرق بين الفرق ص٢٩٨، فضائح الباطنية ص٢١).

(٦) انظر: نص المفيد في الإرشاد ص١٢، وقد نقلته بنصه في «مسألة التقريب» (٢/ ١٢٤).

(٧) وسائل الشيعة ١١/ ٤٧٠.

(٨) وقد شاع في أسمائهم لقب «تقي» من التقية لا من التقوى نسبة لبراعة صاحبه في التقية.

(٩) محمد الصدر، تاريخ الغيبة الصغرى ٤١١.

(١٠) ويعدونه أحد الأبواب التي لا يوصل للمهدي إلا بواسطتها إبان فترة ما يسمونه بالغيبة الصغرى.

في دار ابن يسار وكان له محل عند السيد المقتدر عظيم وكانت العامة أيضاً تعظمه، وعهدي به وقد تناظر اثنان فزعم واحد أن أبا بكر أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ ثم عمر ثم علي، وقال الآخر: بل علي أفضل من عمر، فزاد الكلام بينهما، فقال أبو القاسم: الذي اجتمعت الصحابة عليه هو الصديق، ثم بعده الفاروق، ثم بعده عثمان ذو النورين، ثم علي الوصي، وأصحاب الحديث على ذلك، وهو الصحيح عندنا، فبقي من حضر المجلس متعجباً من هذا القول، وكاد العامة (يعني أهل السنة) الحضور يرفعونه على رؤوسهم، وكثر الدعاء له، والطعن على من يرميه بالرفض، فوقع عليّ الضحك، فلم أزل أتصبر وأمنع نفسي، وأدس كمي في فمي، فخشيت أن أفتضح فوثبت عن المجلس، ونظر إليّ ففطن بي، فلما حصلت في منزلي فإذا الباب يطرق، فخرجت مبادراً فإذا بأبي القاسم الحسين بن روح راكباً بغلته قد وافاني من المجلس قبل مضيه إلى داره فقال لي: يا أبا عبد الله - أيدك الله - لم ضحكت؟ فأردت أن تهتف بي كأن الذي قلته عندك ليس بحق، فقلت: كذلك هو عندي، فقال لي: اتق الله أيها الشيخ؛ فإني لا أجعلك في حل تستعظم هذا القول مني؟ فقلت: يا سيدي، رجل يرى بأنه صاحب الإمام ووكيله يقول ذلك القول لا يتعجب منه ولا يضحك من قوله هذا؟ فقال لي: وحياتك[١] لئن عدت لأهجرنك، وودعني وانصرف»[٢].

نقلنا هذا النص برغم طوله، وهو وإن كان في مسألة تهون بالنسبة لما لديهم من الفظائع والعظائم، لكنها تنبئ عن مسلكهم في سائر معتقداتهم، وليدرك القارئ حجم الكيد والكذب، وصفاقة المكر والمخادعة، والجرأة على التلون والمصانعة، ومع ذلك فإن عقلية ملالي هذه الطائفة المعاصرين تؤيد هذا النفاق وتشيد به وتدعو لترسم منهجه، فقد أشاد شيخهم محمد الصدر بهذا المنهج في الخداع، حيث نقل هذه الحادثة عن ابن روح مؤيداً لمنهجه مثنياً على مسلكه[٣].

وتعرض مصادر الشيعة الرافضة صوراً تطبيقية للمخادعة تأخذ شكل الموالاة والموافقة في الظاهر، وهي في باطنها ضد ذلك تماماً، وذلك لتعليم عموم أتباعهم هذا المسلك وتربيتهم على هذا المنهج. فقد ورد في المرجع الوحيد لتحقيق معارف المذهب عندهم - كما يقولون - وأحد مصادرهم الثمانية المعتمدة في الرواية «بحار الأنوار» المشهد التالي:

يتقدم بعض أهل السنة إلى أحد الروافض بسؤال ليتحقق من معتقده، ليتسنى له حينئذ بيان الحق له وكشف الغمة عنه، فيسأله عن العشرة المبشرين بالجنة الذين تواتر فضلهم واستفاض في النصوص الثناء عليهم. قائلاً: ما تقول في العشرة من الصحابة؟

قال (الرافضي): أقول فيهم الخير الجميل الذي يحبط الله به سيئاتي ويرفع به درجاتي.

قال السائل (السني): الحمد لله على ما أنقذني من بغضك، كنت أظنك رافضياً تبغض الصحابة.

وكان من المتوقع أن يسكت الرافضي ويكتفي باقتناع السني، لكنه أردف قائلاً: «ألا من أبغض واحداً من الصحابة فعليه لعنة الله». فشك السني حينئذ واستراب من جواب الرافضي وانتقاله في تأكيد الجواب من التخصيص إلى التعميم، ومن الترضي أو الثناء على العشرة المبشرين إلى عموم الصحابة أجمعين، وهو ما لا يرد في معتقد هؤلاء الروافض أجمعين، فظن أن جوابه ورد مورد التقية، وقال: «لعلك تتأول»، فأعاد عليه السؤال قائلاً: «ما تقول فيمن أبغض العشرة من الصحابة؟» فقال الرافضي: «من أبغض العشرة فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»، فما كان من السني - كما يقول خبرهم - إلا أن وثب يقبل رأسه وقال: «اجعلني في حل مما قذفتك به من الرفض قبل اليوم»، قال: أنت في حل وأنت أخي»، ثم انصرف السائل.

هذه المحاورة شهدها كما تقول الرواية أحد أئمتهم فقال: «جودت! لله درك، لقد عجبت الملائكة في السماوات من حسن توريتك وتلطفك مما خلصك الله، ولم يثلم دينك، وزادك الله في مخالفينا غماً إلى غم، وحجب عنهم مراد منتحلي مودتنا في تقيتهم».

إلا أن هذا الأسلوب في التقية والمراوغة كان من الخفاء إلى درجة أن وجه التقية فيه أشكل على بعض الحاضرين من أتباعهم، فقالوا: بعد سماعهم لثناء الإمام على هذه

(١) هذا اليمين من الشرك الأصغر، ولكن ما عند هؤلاء أكبر وأخطر، وإنما هذا التنبيه للقارئ العادي.

(٢) انظر: الغيبة للطوسي ٢٣٦-٢٣٧، بحار الأنوار ٥١/ ٣٥٧.

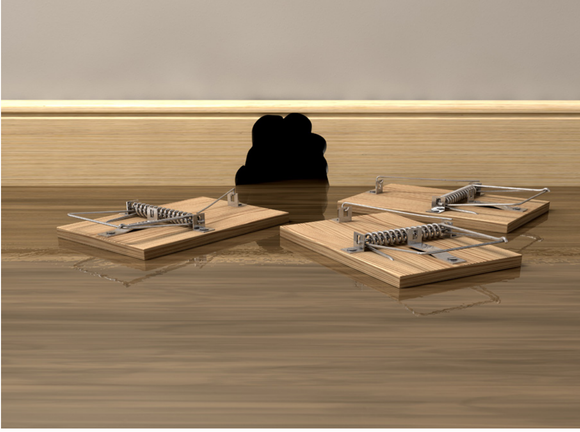
(٣) تاريخ الغيبة الصغرى ص٣٨٥.

المصانعة الكاذبة: يا ابن رسول الله ما عقلنا من الكلام إلا موافقة صاحبنا لهذا المتعنت الناصب. فأجابهم إمامهم قائلاً: لئن كنتم لم تفهموا ما عنى فقد فهمنا نحن. وقد شكر الله له، إن الموالي لأوليائنا المعادي لأعدائنا إذا ابتلاه بمن يمتحنه من مخالفيه وفقه لجواب يسلم معه دينه وعرضه، ويعظم الله بالتقية ثوابه، إن صاحبكم هذا قال: من عاب واحداً منهم فعليه لعنة الله، أي من عاب واحداً منهم وهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. وقال في الثانية: من عابهم أو شتمهم فعليه لعنة الله، وقد صدق؛ لأن من عابهم فقد عاب عليّاً - عليه السلام - لأنه أحدهم، فإذا لم يعب عليّاً ولم يذمه، لم يعبهم، وإنما عاب بعضهم»[١].

وتصف أخبارهم حالة رجل رافضي تظاهر بأنه تاب من الرفض وعاد إلى المذهب الحق، وحين جيء به بين يدي الناس في بغداد ليشهدوا توبته - كما يزعمون - نودي: «معاشر الناس اسمعوا توبة هذا الرافضي. ثم يقولون له: قل، فقال: خير الناس بعد رسول الله ﷺ أبا بكر». فلما «فعل ذلك ضجوا وقالوا: قد طاب[٢]، وفضل أبا بكر على علي بن أبي طالب». وحين تنقل هذه الحادثة لأحد أئمتهم يطلب من الناقل أن يعيد عليه الحديث في وقت آخر قائلاً: «إذا خلوت فأعد عليَّ هذا الحديث، فلما خلا أعاد عليه، فقال: إنما لم أفسر لك معنى كلام هذا الرجل بحضرة هذا الخلق المنكوس كراهة أن ينتقلوا إليه فيعرفوه ويؤذوه، لم يقل الرجل: خير الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، فيكون قد فضل أبا بكر على علي بن أبي طالب عليه السلام، ولكن قال: خير الناس بعد رسول الله أبا بكر. فجعله نداء لأبي بكر، ليرضى من يمشي بين يديه من بعض هؤلاء ليتوارى من شرورهم، إن الله جعل هذه التورية مما رحم به شيعتنا ومحبينا»[٣].

ثم يمضي صاحب البحار يذكر صوراً من الخداع والاحتيال، فهذا أحد الروافض يُسأل: من خير الناس بعد رسول الله؟ فيبادر بالإجابة قائلاً: «أخير الناس بعد رسول الله أبو بكر وعمر وعثمان» فلا يذكر أمير المؤمنين عليّاً، فيقول سامعوه: «إن هذا أشد تعصباً للسنة منا قد غلطنا عليه».

(١) بحار الأنوار ٧٢/ ٤٠٢.
(٢) كذا في الأصل، ولعلها (تاب).
(٣) بحار الأنوار ٧٢/ ٤٠٤-٤٠٥.



لكنه يفصح عن مراده لخاصته فيقول: «إنما أردت أخير الناس أي أهو خير؟ استفهاماً لا إخباراً»، فقال له إمامه مثنياً عليه وعلى طريقته في خداع أهل السنة: «قد شكر الله لك بجوابك هذا لهم، وكتب لك أجره، وأثبته لك في الكتاب الحكيم، وأوجب لك بكل حرف من حروف ألفاظك بجوابك لهذا لهم ما يعجز عنه أماني المتمنين ولا يبلغه آمال الآملين»[٤].

وهذا رافضي آخر يبلغ به الأمر أن يُلقن الجواب فيستجيب للتلقين، ويُطلب منه القسم على صدقه فيقسم القسم المغلظ على ذلك، ولكنه في الحقيقة يكذب، أما كيف يخادع ويحتال ويظهر الكذب بصورة الصدق فاستمع إليه يروي ويكشف طريقته في الخداع قائلاً:

«قال لي بعضهم: أجب عما ألقنك، قلت: قل، فقال لي: أتقول: إن أبا بكر بن أبي قحافة هو إمام حق عدل، ولم يكن لعلي في الإمامة حق ألبتة؟ فقلت: نعم - وأريد نعماً من الأنعام [الإبل والبقر والغنم] فقال: لا أقنع بهذا حتى تحلف، قل: والله الذي لا إله إلا هو الطالب الغالب المدرك المهلك، يعلم من السر ما يعلم من العلانية، فقلت: نعم - وأريد نعماً من الأنعام - فقال: لا أقنع إلا بأن تقول: أبو بكر بن أبي قحافة إمام - أي هو إمام من ائتم به واتخذه إماماً - والله الذي لا إله إلا هو.. ومضيت في صفات الله، فقنعوا بهذا مني وجزوني خيراً ونجوت منهم»[٥].

ثم يسأل إمامه عن حاله بعد هذه التقية التي هي في مقاييسهم تسعة أعشار الدين (لأنها خداع للمسلمين) قائلاً:

(٤) المصدر السابق ٧٢/ ٤٠٥.
(٥) البحار ٧٢/ ٤٠٥-٤٠٦.

«فكيـف حالي عند اللـه؟ قال: خير حال، قد أوجب الله لك مرافقتنا في أعلى عليين لحسن يقينك»[١].

ثـم تذكـر بعض تعاليمهم طريقة للقسـم الـكاذب أمام أهل السـنة فتقول لكل شـيعي: «فإذا قالوا [أي أهل السـنة وقضاتهـم] قل: والله، فقل: واللـه[٢]، ولكن تريد به ولي في أمر كذا، فإنهم [أي أهل السنة] لا يميزون».

ثـم تقول تعاليمهم: «فإن تنبه السـني إلى أنك لم تنطق الهاء، وقال لـك: «قل والله وبين الهاء» - فعليك حينئذ أيها الشيعي أن تسلك مسلكاً آخر في الخداع فتقول: «والله برفع الهاء فإنه لا يكون يميناً إذا لم تخفض الهاء»[٣].

ويذكـر أحد الروافض أنه أرشـد أحد أصحابه لتطبيق هـذا المبدأ فطبقـه تماماً.. وتم نقل ذلـك لإمامهم.. فأثنى عليهمـا معاً قائلاً: «الدال على الخير كفاعله، وقد كتب الله لصاحبـك بتقيته بعدد كل من اسـتعمل التقية من شـيعتنا وموالينـا ومحبينا حسـنة، وبعـدد من ترك التقية حسـنة، أدناهـا حسـنة لو قوبل بهـا ذنوب مائة سـنة لغفرت، ولك لإرشادك إياه مثل ما له»[٤].

انظـر إلـى توجيـه الأتباع إلى خداع المسـلمين بشـتى الوسائل، وتأمل كيف يعدون هذا الصنيع كفيلاً بمغفرة ذنوبه طيلة حياته كلها وأكثر من ذلك.

علـى أن هـذه التعاليم لا يلزم التقيـد بها في كل حالة، إذ لو أقسـم بلا توريـة تقية ومخادعة لم يخـرج عن دائرة التقيـة[٥]، فقالـوا: «إذا حلـف الرجل بالله تقيـة لم يضره، وبالطـلاق والعتـاق أيضاً لا يضـره»[٦]. ومبـدأ التقية يلزم تطبيقـه والعمل به من كل شـيعي يعيش فـي ظل دولة غير شـيعية، ولذلك قالوا: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يتكلم في دولـة الباطل إلا بالتقية»[٧]. ودولة الباطل عندهم هي كل دولة لا تخضع لحكم الإمام أو نائبه الولي الفقيه.

ولا أمـد لانتهاء العمل بالتقية، بل يسـتمر توظيفها في التعامل مع الآخرين إلى أن يخرج منتظرهم المزعوم، ويجبر النـاس بقوة الحديد والنار علـى الدخول في ملتهم، ولذلك قرروا في كتابهم الاعتقادات المسـمى «دين الإمامية» وجوب اسـتمرار العمـل بالتقية إلى وقت خـروج مهديهم، وأن من تركها قبل ذلك، فقد خرج عن دينهم[٨]، كما سـبق نقل نصه بحروفه.

ومن فروع هذه التقية والخداع تشـريعهم لمبدأ الدخول الشـكلي في الحكومات بمعنى أن يشـارك الرافضي في أي حكومة مسـلمة مجرد مشاركة صورية، لكن عمله الحقيقي هو لمصلحة نحلته[٩]، ولذلك أثنى الخميني على أحد أتباعهم وهـو المدعو علي بن يقطين لدخوله الشـكلي - كما يعبر - في الدولة الإسـلامية لنصرة نحلتهـم[١٠]. وعلي بن يقطين هذا الذي يشـير إليه خميني هو أحد وزراء هارون الرشـيد المتبرقعين بالتقية، ولكنه في الأخير انكشف أمره، فقد ذكر الطبري أنه قتل على الزندقة[١١]، كما كشفت وثائق الروافض أن ابن يقطين هذا هو الذي قتل في ليلة واحدة خمسـمائة مسـلم، فقد ذكر شـيخهم نعمـة الله الجزائري فـي كتابه «الأنوار النعمانية» هذه الجريمة المروعة مفتخراً بها وفرحاً، فيحكـي الجزائـري أن ابن يقطين تمكن بحيلة لم تكتشـف من قتل خمسـمائة مسـلم فـي يوم واحد فيقـول: «إن علي بن يقطين وهو وزير الرشـيد قد اجتمع في حبسـه جماعة مـن المخالفين فأمـر غلمانه وهدموا أسـقف المحبس على المحبوسـين، فماتوا كلهم وكانوا خمسمائة رجل تقريباً»[١٢].

وتزعـم كتب الرافضة أن الرئيس السـري لخليتهم كان يوصـي علي بن يقطين بعـدم التخلي عن منصبه بأي حال:

(١) المصدر السابق ٧٢/ ٤٠٦.
(٢) كذا في المصدر السابق، ولعلها (ولي) بدليل ما بعده.
(٣) بحار الأنوار ٧٢/ ٤٠٦، تفسير الحسن العسكري ١٤٥.
(٤) الموضع نفسه من المصدرين السابقين.
(٥) حدثني العلامة صالح بن غصون (وكان قاضياً في المنطقة الشرقية) أنه قد نظر في دعوى أطرافها أو أحدهم رافضي، وقد توجهت اليمين للرافضي، فرأى استعداده لأداء اليمين، وقد تبين للشيخ أنه ليس بمحق في دعواه، فقال: أريدك أن تقول: إنني أبرأ من علي والحسن والحسين وفاطمة إن كنت كاذباً، فرفض أن يقول ذلك، ونكل؛ لأن مقام هؤلاء بحسب عقيدة هذا الرافضي ودينه أعظم من الله، ومع ذلك فقد ذكر لي الشيخ أنهم يرغبون في التحاكم إلى قضاة السنة أكثر من رغبتهم في التحاكم إلى شيوخهم وعلمائهم!
قلت: لأنهم يوقنون في قرارة أنفسهم بعدل أهل السنة وإنصافهم، حتى ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أنهم يقولون: «أنتم تنصفوننا ما لا ينصف بعضنا بعضاً» (منهاج السنة ٥/ ١٥٧-١٥٨)، وقد جاء في «الكافي» الإقرار بهذه الحقيقة على لسان أحدهم، وهو عبد الله بن أبي يعفور قال: قلت لأبي عبد الله: إني أخالط الناس فيكثر عجبي من أقوام لا يتولونكم ويتولون فلاناً وفلاناً (يعني أبا بكر وعمر، وهو يشير بهذا لأهل السنة) لهم أمانة وصدق ووفاء، وأقوام يتولونكم (يعني الشيعة) ليس لهم تلك الأمانة ولا الوفاء والصدق؟ (أصول الكافي ١/ ٣٧٥).
(٦) بحار الأنوار ٧٢/ ٤١١.
(٧) جامع الأخبار ١١٠، بحار الأنوار ٧٢/ ٤١٢.
(٨) الاعتقادات: ١١٤-١١٥.
(٩) انظر: «الدخول الشكلي في الحكومات» دراسة منشورة بمجلة البيان (عدد ٣٣٨).
(١٠) انظر: الحكومة الإسلامية ١٤٢.
(١١) انظر: تاريخ الطبري ٨/ ١٩٠.
(١٢) انظر: الأنوار النعمانية ٢/ ٣٠٨.

«عـن علي بن يقطين أنه كتب إلى أبي الحسـن موسـى: إن قلبـي يضيق مما أنا عليه من عمل السـلطان - وكان وزيراً لهـارون - فإن أذنت لي جعلني الله فداك هربت منه، فرجع الجواب: لا آذن لك بالخروج من عملهم»[١].

مـع أنهم يقـررون أن من تعـاون مع الحكام المسـلمين الذي يصفونهم بالظالمين حشـر معهم، يقولون: «إذا كان يوم القيامة نادى منـاد: أين الظلمة وأعوانهم؟ من لاق لهم دواة أو ربط لهم كيساً أو مدَّ لهم مدَّة قلم فاحشروهم معهم»[٢].

والتعاون مع الحكام المسـلمين بـدون إضمار الكيد لهم والتربـص بهم ونية نفع الرافضـة والإضرار بمخالفيهم هو عديـل الكفـر، يقولون: «الدخـول في أعمالهـم والعون لهم والسعي في حوائجهم عديل الكفر»[٣].

ويمكـن للرافضي أن يعيش مع أهل السـنة وكأنه منهم عقيدة ومسلكاً، وذلك بمقتضى عقيدة التقية، مع أن عقيدة التقيـة وفـق المفهـوم الشـيعي لا حقيقة لها سـوى الكذب والنفـاق، وهي افتـراء على الله ورسـوله وأهـل بيته ودين الإسلام.

ولذا يرى بعض أئمة السنة أن أصحاب عقيدة التقية هم شـر من المنافقين؛ لأن المنافقين يعتقدون أن ما يبطنون من كفر هو باطل، ويتظاهرون بالإسلام خوفاً، وأما هؤلاء فيرون أن ما يبطنون هو الحق، وأن ما يظهرون من دين الإسلام هو الباطل، وأن طريقتهم هي منهج الرسل والأئمة[٤].

ومن مكرهم أنهم سموا كذبهم وخداعهم ونفاقهم «تقية» حتى يتوهم من يسمعها أنها «التقية» الشرعية، مع أن تقيتهم ليـس لها صلة بالتقية الشـرعية إلا في الاسـم، فإن التقية الشـرعية في الإسـلام رخصة في حالة الاضطرار، ولذلك استثناها الله - سبحانه - من مبدأ النهي عن موالاة الكفار فقـال سـبحانه: ﴿لا يَتَّخِذِ الْـمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِيـنَ أَوْلِيَـاءَ مِن دُونِ الْـمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإلَى اللَّهِ الْـمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

فنهـى الله تعالى عن مـوالاة الكفـار، وتوعد على ذلك أبلـغ الوعيد فقـال: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾

(١) قرب الإسناد ١٢٦، بحار الأنوار ٧٢/ ٣٧٠.
(٢) ثواب الأعمال ٢٣٢، بحار الأنوار ٧٢/ ٣٧٢.
(٣) تفسير العياشي ١/ ٢٣٨، بحار الأنوار ٧٢/ ٣٧٤.
(٤) انظر: رسالة في علم الظاهر والباطن لابن تيمية (ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١/ ٢٤٨.

أي ومـن يرتكب نهي الله في هذا فقد برئ من الله، ثم قال سبحانه: ﴿إلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ أي: إلا من خاف في بعض البلدان والأوقات من شرهم فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته[٥].

ولا تكون إلا مع الكفار، كما قال تعالى: ﴿إلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾، قال ابن جرير الطبري: «التقية التي ذكرها الله في هذه الآيـة إنما هي تقية من الكفار لا من غيرهم»[٦]، ولهذا يرى بعض السلف أنه لا تقية بعد أن أعز الله الإسلام، قال معاذ بن جبل، ومجاهد: «كانت التقية في جدة الإسلام قبل قوة المسـلمين، أما اليوم فقد أعز الله المسلمين أيتقوا منهم تقاة؟!»[٧].

أما تقية الرافضة فهي خداع المسـلمين وغشهم، بل هي النفاق بعينه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية موضحاً الفرق بين تقية النفاق، والتقية في الإسلام: «التقاة... ليست بأن أكذب وأقول بلسـاني ما ليس في قلبي فإن هذا نفاق، ولكن أفعل مـا أقدر عليه.. فالمؤمن إذا كان بين الكفار والفجار، لم يكن عليـه أن يجاهدهم بيده مع عجزه، ولكن إن أمكنه بلسـانه، وإلا فبقلبه، مع أنه لا يكذب ويقول بلسانه ما ليس في قلبه، إمـا أن يظهر دينه وإما أن يكتمه، وهـو مع هذا لا يوافقهم على دينهـم كله، بل غايته أن يكون كمؤمن آل فرعون؛ حيث لـم يكن موافقـاً لهم على جميع دينهـم، ولا كان يكذب، ولا يقول بلسـانه ما ليس في قلبه، بل كان يكتم إيمانه، وكتمان الدين شيء، وإظهار الدين الباطل شيء آخر، فهذا لم يبحه اللـه قط إلا لمن أكره بحيث أبيـح له النطق بكلمة الكفر»[٨]، أي: فيعذره الله في ذلك، والمنافق والكذاب لا يعذر بحال.

ثم ذكر أن المؤمن الذي يعيش بين الكفار مضطراً ويكتم إيمانـه يعاملهـم - بمقتضى الإيمان الـذي يحمله - بصدق وأمانة ونصح وإرادة للخير بهم، وإن لم يكن موافقاً لهم على دينهم، كما كان يوسـف الصديق يسير في أهل مصر وكانوا كفـاراً، بخلاف الرافضي الذي لا يترك شـرًّا يقدر عليه إلا فعله بمن يخالفه[٩].

(٥) تفسير ابن كثير: ١/ ٣٧١، وراجع في هذا المعنى كتب التفسير في سورة آل عمران (آية: ٢٨)، والنحل (آية: ١٠٦).
(٦) تفسير الطبري: ٦/ ٣١٦ (تحقيق شاكر).
(٧) انظر: تفسير القرطبي: ٤/ ٥٧، فتح القدير للشوكاني: ١/ ٣٣١.
(٨) «منهاج السنة» ٦/ ٤٢٤.
(٩) «منهاج السنة» ٦/ ٤٢٥.